

جامعة أم القرى
كلية الدعوة وأصول الدين
قسم العقيدة

نقد الفلسفة

إعداد

دكتور

إبراهيم خليفه

مادة: نقد الفلسفة (٣٦١)

الزمن: محاضرتان، تخصص دقيق

الأهداف:

١. الإحاطة بتاريخ الفلسفة اليونانية والإسلامية ومراحل تطورها وأعلامها.
٢. التعرف على الآثار السلبية لحركة الترجمة للفلسفة على الساحة الإسلامية.
٣. تربية ملكة النقد لدى الطالب في مواجهة المذاهب الفلسفية.
٤. التأكيد على أصول التفكير الإسلامي وبيان ضوابط البحث في الطبيعة وما وراء الطبيعة.

٥. إبراز جهود علماء السلف في مواجهة التيارات الفلسفية الوافدة.

مفردات المنهج:

أولاً: الفلسفة اليونانية.

- (١) التعريف بالفلسفة في مراحلها المختلفة وبيان علاقتها بالعلوم الأخرى.
- (٢) منشأ الفكر الفلسفي وأقوال الباحثين فيه.
- (٣) المدارس الطبيعية الأولى في اليونان واختلافها حول نشأة الكون.
- (٤) السوفسطائيون والقضايا التي طرحوها والرد عليهم.
- (٥) أعلام الفلسفة اليونانية: سقراط - أفلاطون - أرسطو.
- (٦) نقد نظرية المثل الأفلاطونية ونظرية المحرك الأول الأرسطية.

ثانياً: الفلسفة في العالم الإسلامي:

- (١) حركة الترجمة في العالم الإسلامي وآثارها السلبية.
 - (٢) أعلام الفلسفة في العالم الإسلامي: الكندي - الفارابي - ابن سينا - ابن رشد.
- ثالثاً: دراسة نقدية في ضوء العقيدة الإسلامية للمسائل التي كفر بها الفلاسفة والقضايا العقدية التي ترتبت عليها مثل:

أ. قدم العالم.

ب. إنكار علم الله تعالى بالجزئيات.

ج. نظرية العقول.

- د. تصوراتهم عن الملائكة.
- ه. تخطبهم في معنى الوحي والنبوة.
- و. جهود علماء السلف في تعقب الفكر الفلسفي والرد عليه.
- أهم المصادر والمراجع:

١. درء تعارض العقل والنقل: لشيخ الإسلام ابن تيمية.
٢. الصفدية: لشيخ الإسلام ابن تيمية.
٣. بغية المرئاد: لشيخ الإسلام ابن تيمية.
٤. تهافت الفلاسفة: لأبي حامد الغزالي.
٥. تمهيد لتاريخ الفلسفة الإسلامية: للشيخ مصطفى عبد الرزاق.
٦. رسائل الكندي: تحقيق د. محمد عبد الهادي أبو ريعة.

تعريف الفلسفة

أصل الاشتقاق : كلمة فلسفة مشتقة من الكلمة اليونانية (فيلو سوفيا) التي تتكون من شقين

(فيلو) و (سوفيا) فيلو بمعنى : محبة ، وسوفيا بمعنى : الحكمة .

وعليه تكون الفلسفة بمعنى : محبة الحكمة ، والفيلسوف هو : المحب للحكمة .

يؤكد على ذلك ابن القيم رحمه الله في "إغاثة اللهفان" قائلا: فإن معناها محبة الحكمة، والفيلسوف

أصله (فيلو سوفيا) أي: محب الحكمة، (فيلو) هي المحب، و(سوفيا) هي الحكمة.

فأصل الفلسفة ومعناها: محبة الحكمة، وكل من يحب الحكمة فهو فيلسوف أو يسمى فيلسوفاً ،

بغض النظر عن أصله وعرقه ودينه .

وقد أطلق على الفيلسوف اسم "الحكيم" ولكن سقراط لم ترق له هذه التسمية، فقال: أنا لست

حكيماً ولكني محب الحكمة فحسب.

والمقصود بالحكمة: المعرفة العقلية الراقية، والإدراك الكلي لحقائق الوجود، وقد أطلق على الشخص

المتأمل عقلياً لحقائق الوجود وقضاياها الكبرى اسم "الفيلسوف" تمييزاً له عن غيره من عامة الناس .

إذاً يطلق الفعل "تفلسف" على الإنسان الذي يرى ظواهر الأشياء المختلفة فيتصورها ثم يُكُون له

فيها رأياً، ثم يجتهد في تعرف علل الظواهر الكونية، وعلاقة الكون بظواهره.

فالذي يتفلسف هو الذي يفكر في شيء خاص ذاتاً كان أو معنى.

وبعبارة أخرى هو: الإنسان الذي يبحث في ماهية الأشياء وأصولها وعلاقة بعضها ببعض .

ولما كان الإنسان من طبيعته أن يفكر ويبحث على هذا النحو، فإن كلمة فيلسوف لم تطلق على

كل إنسان، بل أطلقت على المرء الذي من أهم الأهداف في حياته دراسة طبائع الأشياء

وتعقلها، وكانت لديه قدرة إدراك الأشياء بسرعة، معتمداً على فكره الخاص.

وبعد انتقال الفلسفة إلى المسلمين، ودخول مصطلحي الفلسفة والفيلسوف في اللغة العربية،

صاغ العرب من ذلك الفعل بأنواعه، فقالوا: تفلسف، يتفلسف، ثم قالوا: هو متفلسف، وهم

متفلسفة، كما جعلوا الحكمة مرادفة للفلسفة فقالوا: حكماء الإسلام، بمعنى فلاسفة الإسلام.

وصفا لأولئك الراغبين في معرفة الحقائق الكلية.

تعريف الفلسفة اصطلاحاً: يتعدد تعريف الفلسفة بتعدد الفلاسفة والمذاهب وفقاً للتجارب

الشخصية للفيلسوف وعاداته الفردية.

ونذكر أهم تعريفات الفلسفة حسب العصور التي مرت بها بدءاً بالفلسفة اليونانية ، ثم في العالم الإسلامي ، والفلسفة الحديثة .

أولاً: تعريف الفلسفة عند فلاسفة اليونان:

استعمل اليونان كلمة الفلسفة منذ القرن السادس قبل الميلاد، ولم يكن معناها محددًا ولا مضبوطاً في أول الأمر، فكانوا يطلقون كلمة فلسفة على المعارف الإنسانية المعروفة في زمانهم، فشملت الطب والفلك والهندسة والكيمياء والطبيعة والتنجيم، ثم قصرت في الإطلاق على من تأمل في الوجود تأملاً عقلياً.

ومع ذلك فإنّ معناها كان يختلف من عصر إلى آخر ومن فيلسوف إلى آخر على النحو التالي:

١- عصر ما قبل سقراط: وموضوع الفلسفة في هذا العصر يتناول الكون الطبيعي، ولذا فمحاولاتهم هي: معرفة الأصل الذي نشأ عنه هذا العالم الطبيعي المحسوس .
فتعريف الفلسفة في هذا العصر: هو "البحث في الوجود الطبيعي، وغايته ومصيره وعلل ظواهر الأشياء".

٢- عصر السوفسطائيين وسقراط: وموضوع الفلسفة في هذا العصر قاصر على الإنسان ومعرفة الحقيقة، والحق والعدل والخير، ودراسة هذه القيم مبنية على التصور العقلي وحده ولا علاقة للحواس بها .

فتعريف الفلسفة إذاً عند سقراط: "البحث عن الحقائق بحثاً نظرياً، وخاصة الحقائق والمبادئ الخلقية من خير وعدل وفضيلة".

٣- عصر أفلاطون وتلميذه أرسطو:

أ - موضوع الفلسفة عند أفلاطون: جواهر الأشياء وحقائقها الثابتة التي لا تتغير .
ويطلق عليها أفلاطون "عالم المثل" وتعريف الفلسفة عند أفلاطون هي: معرفة حقائق الأشياء، ومعرفة الخير للإنسان.

ب - موضوع الفلسفة عند أرسطو: يشمل كل المعرفة الإنسانية، أو بعبارة أخرى أصبحت الفلسفة مرادفة لمعنى العلم، ويندرج تحت الفلسفة جميع العلوم من المنطق، والرياضة، والطبيعة، والأخلاق والسياسة .

وتعريف الفلسفة عند أرسطو هي: العلم بالمبادئ الأولى التي تفسر بها طبيعة الأشياء .

أو هي البحث عن علل الأشياء وأصولها الأولى .

٤- عصر ما بعد أرسطو: في هذا العصر جمد موضوع الفلسفة، ولم يبتكر الفلاسفة شيئاً بل

كانوا مقلدين حاكين، وظهرت فيه مدرستا الأبيقوريين والرواقيين .

وموضوع الفلسفة عند الأبيقوريين والرواقيين: قاصر على بعض جوانب الإنسان من ناحية

أخلاقه وسعادته وسلوكه في هذه الحياة، وقيمتها فيها، وإن اختلفت المدرستان في تحديد الغاية التي

تريد كل منهما الوصول إليها.

أ - فالأبيقوريون مثلاً: كانوا يطلبون السعادة ويرونها في الحصول على اللذة .

وتعريف الفلسفة عندهم: هي القدرة على السعادة بواسطة العقل والفطنة.

ب - أما الرواقيين: فكانوا يطلبون الواجب لذاته مهما كلفهم عمل الواجب من توضيحات في

المال أو النفس أو غيرها، وقد توصلوا لذلك بعمل الفضيلة.

وتعريف الفلسفة عندهم: السعي وراء الفضيلة، وما يجب أن يسير عليه الإنسان في حياته.

ثانياً: تعريف الفلسفة عند الفلاسفة الإسلاميين :

١- عرفها أبو يوسف يعقوب الكندي بقوله: "الفلسفة علم الأشياء بحقائقها".

بمعنى العلم الكامل بحقيقة الأشياء وكنهها، وحقائق الأشياء كلية لا جزئية .

٢- وعرفها أبو نصر الفارابي بقوله: "العلم بالموجودات بما هي عليه موجودة".

٣- وعرفها أبو علي بن سينا فقال: "هي صناعة نظرية يستفيد منها الإنسان تحصيل ما عليه

الوجود كله في نفسه، وما الواجب عليه عمله مما ينبغي أن يكتسب فعله لتشرف بذلك نفسه

وتستكمل، وتصير عالماً معقولاً مضاهياً الوجود، وتستعد للسعادة القصوى بالآخرة وذلك بحسب

الطاقة الإنسانية".

ثالثاً: تعريف الفلسفة في العصر الحديث:

لقد تحرّرت الفلسفة في هذا العصر من الدين، وصارت تبحث في موضوعاتها حرة مستقلة،

مستندة في بحثها إلى العقل الإنساني الطليق من قيود الدين .

وقد اختلفت تعاريف الفلسفة في هذا العصر لاختلاف موضوع البحث الذي تناوله الفلاسفة.

فذهب ديكارت (أبو الفلسفة الحديثة) بأن الفلسفة هي: العلم بالمبادئ الأولى وهي العلم الكلي

الشامل.

وذهب آخرون بأن الفلسفة: هي علم الأشياء اليقينية التي لا تقع تحت الحس، والتي يعرفها الإنسان بطريق النظر العقلي.

ونلاحظ في هذه التعريفات أن المعرف يبرز الجانب الذي يعني به في دراسته للفلسفة.

ومن خلال ما سبق يمكن حصر معاني الفلسفة في الآتي:

الأول: "هي علم المعرفة الكلية المطلوبة لذاتها".

والمراد بالمعرفة الكلية: المعرفة التي تتناول الحقائق الكلية للموجودات عامة، أي لا تتناول الفلسفة الحقائق الجزئية للوجود؛ إنها تتناول طبيعة الوجود، وماهية الإنسان، والمشكلات العامة ذات الطابع العقلي الكلي، مثل: مشكلة الحرية، ظاهرة الموت والحياة، مشكلة المعرفة. والفيلسوف عندما يدرس الحقائق الكلية المنفردة للوجود فإنه يجمعها مع بعضها، ويجردها من طبيعتها المادية المتغيرة، ثم يربطها في تسلسل منطقي له ترتيب معين، ليكوّن منها في نهاية الأمر مذهباً فلسفياً خاصاً به.

الثاني: علم المبادئ الأولى لكل ظواهر الوجود.

إنّ الفيلسوف لا يهتم بدراسة المبادئ، أو العلل القريبة المباشرة في تفسيره لمختلف ظواهر الوجود، لأن المبادئ القريبة والعلل المباشرة تحتاج في دراستها إلى الحواس، وتعتمد المنهج التجريبي، إنه يعتمد على التأمل العقلي في إدراك المبادئ الأولى والعلل البعيدة، التي هي بطبيعتها عقلية مجردة، ويمكن أن يقوم الفيلسوف بتفسير الحقائق الجزئية، ولكن بردها إلى أصولها العقلية الأولى وعللها الحقيقية البعيدة.

فمثلاً: يهتم العلم التجريبي بمعرفة أسباب نمو النبات وهي توفر الماء والهواء والغذاء المناسب والشمس، بينما يهتم الفيلسوف بما هو أرقى من ذلك، إنه يريد أن يدرك العلل العقلية البعيدة والمبادئ الأولى العامة لنمو النبات والحيوان والإنسان وكل الكائنات الحية الأخرى، وهكذا بقية ظواهر الوجود.

الثالث: هي وجهة نظر عقلية فردية خاصة تجاه ظاهرة معينة في الوجود أو في حياة الإنسان: ووجهات النظر العقلية عند الفلاسفة لا بد أن تكون مختلفة، إذ أن لكل فيلسوف خبرته الشخصية وظروف بيئته ومجتمعها الخاص به، وله عاداته التي تؤثر في وجهة نظره ومذهبه الفلسفي.

فمثلاً: نجد وجهات نظر متعددة مختلفة ومتعددة في تحليل ظاهرة الشر أو الخير.

وهكذا نرى أن الفلسفة لا تختص بعلم دون آخر، بل هي منهج في البحث والمعرفة، قائم على إثارة الأسئلة والإشكالات والشكوك حول المعارف بأنواعها؛ بغرض التأكد من صحتها وجدواها، وتفسير عللها وغاياتها، ثم محاولة الإجابة عن كل ذلك، ومن هنا وصفت الفلسفة بأنها أم العلوم.

نشأة التفكير الفلسفي :

اختلف الباحثون حول نشأة وبداية التفكير الفلسفي إلى فريقين :

الرأي الأول: ذهب فريق من الفلاسفة والعلماء الباحثين والمستشرقين إلى أنّ التفكير الفلسفي في بلاد الشرق أقدم ظهوراً من بلاد اليونان، فالتفكير الفلسفي بدأ أولاً في بلاد الشرق قبل القرن السادس ق.م، حيث شهدت بلاد الشرق القديم مجموعة من أنماط التفكير الفلسفي مثل: الفلسفة المصرية، والفلسفة الفارسية، والفلسفة البابلية، والفلسفة الهندية، والصينية .

وعلى رأس هؤلاء المؤرخ الإغريقي " دبوجين لا إرس " الذي قال في كتابه " حياة الفلاسفة " : " إن الفلسفة الإغريقية ليست إلا تراثاً شرقياً متغلغلاً في القدم .

واستدلوا على ذلك بوجود كثير من النصوص والأساطير البابلية والمصرية التي جاء فيها حديث عن أصل العالم.

فمثلاً: قيل إنّ طاليس قال: بأنّ أصل العالم هو الماء، ولقد جاء في الأساطير والنصوص القديمة أنّ العالم في البدء كان ماءً، وهذا يدلّ على أنّ طاليس قد استفاد قوله من تلك الأساطير .

ويؤكّد هذا الرأي أنّه في مجال العلوم الكونية والرياضية وجدت بعض هذه العلوم عند القبائل الناشئة في بلاد الصين القديم على نحو ما هو موجود في بلاد اليونان.

فمثلاً: الصينيون أسبق إلى معرفة المثلث القائم الزاوية وخصائص وتره .

الرأي الثاني: ذهب فريق آخر إلى أن اليونان هم أوّل من ظهر فيهم التفلسف، فأرسطو يرى أنّ طاليس اليوناني هو أول فيلسوف حاول أنّ يفسر الكون تفسيراً عقلياً. والخيال والبداهة، ولم يكن مسلكهم في التفكير خاضعاً لمنهج علمي أو أسلوب فلسفي معين .

لكنّ اليونان هم أوّل من قدّم المنهج والمصطلح الذي سارت عليه الفلسفة حتى اليوم، والتفكير الفلسفي عند اليونان كان تفكيراً منظماً يعتمد على الاستدلال العقلي والتأمل الفلسفي والنظر المنطقي.

التوفيق بين الرأيين: خروجاً من هذا الخلاف يمكن القول: بأنّ التفكير الفلسفي نشأ أولاً في

حضارات الشرق القديم، ولكنه كان مجموعة من الأساطير أو الملاحظات التجريبية التي دفعتهم إليها حاجتهم إلى الشراب والطعام والمسكن، واعتمدوا فيها على الأوهام، ورغم اختلاف الباحثين في نشأة الفلسفة إلا أنهم أجمعوا على أن الفلسفة اليونانية كانت أعمق الفلسفات بحثاً، وأوسعها موضوعاً، وأحسنها تنظيماً وترتيباً.

ومع ترجيحنا لسبق الشرق على الغرب إلا أننا نؤكد على حقيقة لا يغفلها إلا المتعصبون وهي : أن الفضل يرجع إلى اليونانيين في تدوين وتنظيم وتطوير الفكر الفلسفي.

صلة الفلسفة بالعلوم .

يتحدث الفلاسفة عن صلات للفلسفة تربطها بعلوم شتى، وما يعيننا هو صلتها بالعلم.

بين الفلسفة والعلم

لقد اختلط مفهوم الفلسفة بمفهوم العلم في أذهان القدماء إذ لم يكن ثمة فروق بينهما، لقد كانت الفلسفة لدى القدماء علماً، حيث كان العلم والفلسفة يدلان على مفهوم واحد، ولم يفرق القدماء بين العلوم الفلسفية التي تقوم على التأمل العقلي المجرد، وبين العلوم التي تعتمد على الملاحظة والتجربة والمشاهدة.

فالفلسفة شملت في القديم ألوان المعرفة البشرية كلها، فأول الفلاسفة طاليس كان عالماً رياضياً وطبيعياً، وفيثاغورس كان فيلسوفاً ورياضياً ومهندساً، وجعل أفلاطون الهندسة أساساً لمذهبه الفلسفي، وكتب على باب مدرسته: "من لم يكن مهندساً فلا يدخل علينا"، وكانت فلسفة أرسطو تضم مجموعة من العلوم، وهكذا الأمر بالنسبة للفلاسفة الإسلاميين فالفارابي كان فيلسوفاً وموسيقياً، وابن سينا كان فيلسوفاً وطبيباً.

هذا بالنسبة للعلوم الطبيعية، أما العلوم الإنسانية: كالسياسة والاقتصاد والأخلاق وعلم النفس فقد كانت من أقسام الفلسفة وفروعها العامة إلى فترة قريبة، فلما انفصلت العلوم الطبيعية عن الفلسفة في العصور الحديثة، بدأت العلوم الإنسانية تسير نفس المنوال، ولكن ظهرت معارضة من بعض المفكرين خصوم النزعة الطبيعية، إذ رأوا أن العلوم الإنسانية لا تناسبها المناهج التجريبية.

واستمرت هذه العلوم ضمن مباحث الفلسفة إلى أن استقل علم النفس عن الفلسفة وأصبح علماً مستقلاً بذاته.

واستقل علم الاجتماع على يد "أوجست كونت" حيث اتخذ صورة العلم التجريبي الوضعي.

أولاً: العلاقة بين الفلسفة والعلم:

إذا كانت الفلسفة مرادفة للعلم قديماً فلقد أصبحت اليوم شيئاً آخر غير العلم لاستقلال كثير من المعارف والعلوم عنها، ويمكننا أن نبين أوجه العلاقة بين الفلسفة والعلم على النحو الآتي:

١- إنّ ميلاد الفكر الفلسفي كان يعني ميلاد العلم بمنهجه الدقيق ومفاهيمه البسيطة الواضحة ومنهجه العقلاني لطباع الموجودات، وكان القصد من الفلسفة محاولة الإنسان مجاوزة التفسيرات الأسطورية والخرافية للظواهر الطبيعية الكونية، إلى تفسير يعتمد على الحدس العقلي والفرض العلمي والملاحظة الاستقرائية ومن ثم وجد قديماً تطابق بين مفهومي العلم والفلسفة. لقد نشأت الفلسفة في أحضان العلم وكانت الدور الراقى من أدواره، ذلك أن العلوم لم تكد تنشأ وتستقر إلا وبدأ التفكير الفلسفي ينشأ على أعقابها ولذا فإن العلاقة وثيقة بين الفلسفة والعلم على الرغم من استقلال الكثير من العلوم عنها.

٢- إنّ الفلسفة تكشف للعلم عن طبيعة العقل الذي هو أداة من أدواته التي يستعين بها على ضبط المشاهدات والتجارب. فالعلماء يلتمسون المعرفة بالعقل وقيمه، ومقاييسه وأحكامه المستمدة من الفلسفة. إنّ كل علم من العلوم الخاصة يعتمد على المعاني الأولية التي تكشف الفلسفة عن حقيقتها، فمثلاً العلوم الإنسانية بحاجة إلى معرفة جوهر الإنسان وأصله ومصيره، وهذه أسئلة تجيب عنها الفلسفة.

٣- يعتمد العلم على البرهان، والفلسفة هي التي تكشف للعلماء عن مقدمات البرهان والأمور التي يقوم عليها وقوانينه، إنما هي التي تعرفهم كيف يحددون المعاني وينظمون الأدلة.

٤- إنّ الفلسفة تقدم لكل علم ما يناسبه وما يصلح له من المناهج والطرائق التي تتناسب مع موضوعه. فمثلاً: العلوم الطبيعية (المادية) تقدم لها الفلسفة المنهج الذي يقوم على الملاحظة والتجربة والاستقراء. فعلم الرياضيات مثلاً تقدم له الفلسفة المنهج الذي يتركب من الضروريات، والبدهييات، ومبادئ الاستنباط.

ثانياً: الفرق بين الفلسفة والعلم:

أ- الفرق بينهما من حيث الموضوع:

فموضوع العلم هو الأحداث والقضايا المادية الجزئية والقوانين المعينة التي تنطبق على قسم معين من أقسام الكون وأجزائه، فعلي سبيل المثال: نجد أنّ علم الجيولوجيا يختص بالمسائل المتعلقة

بطبقات الأرض، وعلم الجغرافيا يختص بأحوال العالم الطبيعية من مناخ و حرارة و تضاريس، وعلم الطبيعة يدرس الظواهر المادية المحدودة كالصوت والضوء والحركة والجاذبية ونحوها من الظواهر الجزئية، وعلم النحو يتعلق بالكلام وأقسامه وأحواله من حيث الإعراب والبناء ... فالعلم موضوعاته جزئية معينة.

بينما موضوع الفلسفة كليّ مطلق، يتناول الحقيقة الكلية العقلية المجردة عن المادة وعلائق المادة، والحقيقة المطلقة، إنها تتناول جميع الأهداف، وتستوعب كل الظواهر الطبيعية ولكنها تفسرها تفسيراً كلياً دون النظر إلى قسم معين من أقسام العالم أو جزء من جزئياته.

كما أن موضوع العلم يكمن في الظواهر الطبيعية من سنن وقوانين.

بينما موضوع الفلسفة يجب عن أسئلة تتعلق بهذه السنن والقوانين. مثل: هل هذه القوانين يقينية أم ظنية؟ دقيقة أو غير دقيقة؟ وما هي النتائج المترتبة على هذه القوانين؟

ب- الفرق بينهما من حيث الغاية والهدف:

إذا كان موضوع الفلسفة ما هو كلي عقلي، فإنّ الهدف الذي يسعى إليه الفيلسوف: الوصول إلى العلل والأسباب البعيدة لمختلف الموجودات وهي علل عقلية مجردة. إنّ الفيلسوف يهدف من تأمله العقلي أن يجيب عن أسئلة منها ما هو أصل الكون؟ وما هو مصيره الذي ينتهي إليه؟ وما هو أصل الإنسان؟ وما هو مصيره؟ وما علاقة الإنسان بالكون الذي يعيش فيه .

بينما العلم يهدف إلى اكتشاف الأسباب المباشرة والعلل القريبة التي أدت إلى حدوث الظاهرة. إذاً غاية العلم: وصف الأحداث الطبيعية والظواهر الكونية بما فيها الإنسان بصرف النظر عما يكون بين هذه الأحداث والظواهر وبين الإنسان من رابطة أو علاقة. فمثلاً: إن سقوط التفاحة من الشجرة إلى الأرض فسره العالم إسحاق نيوتن بالجاذبية الأرضية، وهو سبب قريب مباشر. بينما الفيلسوف لا يقنع بذلك، إنّه يهتم بمعرفة السبب البعيد الذي من أجله وجدت الجاذبية في الأرض.

ج- الفرق بينهما من حيث المنهج:

المنهج الذي يسلكه الفيلسوف في معرفة العلل والأسباب البعيدة هو المنهج العقلي الذي يعتمد على التأمل النظري والتحليل العقلي، إنّه يعتمد على العقل في تجريد المدركات من ماديتها واستخلاص ماهياتها الكلية الثابتة، ويعتمد على التحليل العقلي لأنّه ينفذ إلى الجذور الأصلية

ويبحث عن العلل البعيدة الكامنة خلف الظاهرة موضوع الدراسة والتأمل، ويعتمد المنهج الفلسفي أيضاً على الضمير والشعور والوجدان كطرق لمعرفة وإدراك الخير والجمال.

أما العلم فإنه يعتمد على المنهج الاستقرائي التجريبي والمشاهد الخارجية التي تدرك بالحواس.

وهذا المنهج يقوم على خمس خطوات هي :

- ١- الشعور بالمشكلة وتحديدتها .
- ٢- جمع المعلومات والبيانات الخاصة بالظاهرة أو المشكلة موضوع البحث .
- ٣- فرض الفروض المبدئية لتفسير الظاهرة .
- ٤- اختبار صحة الفروض تجريبياً .
- ٥- التوصل إلى قانون عام يفسر الظاهرة.

د- الفرق بينهما من حيث الذاتية:

المقصود بالذاتية: ما يرجع إلى ذات الإنسان الفرد وحده، وتدخل فيها مشاعر الإنسان وأحاسيسه وميوله الشخصية وظروف حياته الخاصة.

ويقابل الذاتية الحقائق الموضوعية وهي كل حقائق الوجود خارج الذات البشرية، أي في الواقع الخارجي الطبيعي، والحقائق ثابتة لا تتغير، بعكس الذاتية التي تختلف من شخص لآخر.

إنّ الفلسفة في جوهرها عبارة عن آراء ذاتية ومذاهب شخصية تعبر عن وجهة نظر خاصة بالفيلسوف نفسه، وبالتالي فإنّ الحقائق التي يتوصل إليها فيلسوف ما تختلف عن الحقائق التي يتوصل إليها فيلسوف آخر؛ لأنّ كل فيلسوف له ميوله الخاصة ومشاعره وأحاسيسه الخاصة.

بينما العلم الذي يتناول بالبحث الحقائق الموضوعية الثابتة فإنه لا يتأثر بآراء العلماء وميولهم وذاتيتهم، فالحقيقة العلمية محل إجماع العلماء وإذا اختلف العلماء فيما بينهم دل ذلك على أنّ ما توصلوا إليه لم يصل إلى رتبة الحقيقة العلمية، إنّما هو ظنون أو فرضيات.

موضوعات الفلسفة:

من خلال الوقوف على ما للفلسفة من معانٍ مختلفة يتبين لنا أنّها لا تبحث في موضوع واحد بعينه، بل تبحث موضوعات متعددة، ومن هنا فإن موضوعها كان يشمل كل المعارف الإنسانية وموضوعات الوجود والحياة، كانت تضم موضوعات إلهية وإنسانية إلى جانب المنطق وعلم النفس والأخلاق... إنّها تبحث في كل شيء يمكن للعقل أن يبحث فيه. فهي تبحث في أصل العالم

ومن أين جاء، وما هو مصيره ونهايته، كما تبحث في موجد العالم وخالقه (الله)، وما يجب له من صفات، وتبحث في الكون كله بحثاً شاملاً يتناول كل جوانبه، و تعنى بالإنسان وسلوكه، ومبدئه ومصيره .

فموضوعها إذاً: الله والكون والإنسان.

وقد درس الفلاسفة هذه المعارف وبحثوا في هذه الموضوعات بواسطة الأسلوب الفلسفي ومن خلال منهج التأمل العقلي . والسبب أن المنهج التجريبي لم يكن معروفاً في تلك العصور الزمنية. ومع بداية عصر النهضة الأوروبية الحديثة واكتشاف المنهج التجريبي بدأت مجموعة من العلوم تنفصل تدريجياً لعدم ملائمة منهج الفلسفة مع تلك العلوم، فانفصلت العلوم الطبيعية واستخدمت المنهج التجريبي، واستقلت الرياضيات مستخدمة المنهج التحليلي الرياضي، وكذلك استقلت علوم أخرى كالفلك والموسيقى والاجتماع. واقتصرت الفلسفة في الحديث على موضوعات رئيسية ثلاث، بالإضافة إلى مباحث فرعية كلها تتوافق مع المنهج العقلي التأملي.

أولاً: الموضوعات الرئيسية :

١- مبحث الوجود: وهو يدرس الوجود عامة وفي صورته الكلية، وفي خصائصه الأساسية العامة فيحاول الفيلسوف كشف القوانين الكونية التي تفسر حقيقة الوجود وجوهره وأصله.

٢- مبحث المعرفة : وهو يدور حول مدى إمكانية معرفة الوجود ووسائل إدراكه والعلم به، ويدرس المعرفة الإنسانية وما يتعلق بها من وسائل ومشكلات، فيدرس مثلاً وسائل المعرفة من الحس والعقل والحدس والموازنة بينها .

٣ - مبحث القيم : يتعرض لدراسة المثل والقيم العليا، والكشف عن ماهيات القيم التي يسعى الجميع إلى تحقيقها في حياتهم . وأهم القيم التي تدرس في هذا المبحث هي :

أ - قيمة الحق ويدرسها علم المنطق.

ب - قيمة الخير، ويدرسها علم الأخلاق.

ج - قيمة الجمال، ويدرسها علم الجمال.

ثانياً: الموضوعات الفرعية :

١ - فلسفة الدين: وهدفها تدعيم العقائد الدينية بالأدلة والحجج العقلية المنطقية.

٢ - فلسفة التاريخ: وتبحث في القوانين العامة والمبادئ الأساسية التي تحكم سير الأحداث

التاريخية عامة ولا يهتم الفيلسوف بدراسة الوقائع والأحداث الجزئية.
٣- فلسفة القانون : وتهتم بدراسة الأسس العامة التي يقوم عليها القانون، وبيان علاقة القانون بمبادئ الأخلاق والعدالة، وارتباطه بفكرة الإلزام والحرية.

مراحل الفلسفة .

أولاً: الفلسفة اليونانية:

مرت بثلاث مراحل أساسية يمثل سقراط المحور الأساسي فيها فتقسم إلى:

١ - ما قبل سقراط.

٢ - سقراط والسوفسطائيين.

٣ - ما بعد سقراط (أفلاطون - أرسطو)

المرحلة الأولى - ما قبل سقراط:

وموضوع هذه المرحلة الكون الطبيعي لمعرفة الأصل الذي نشأ عنه . وقد مرّت الفلسفة في هذه المرحلة بعدة أدوار، تميّز كل دور بمميزات عن الدور الآخر، وهذه الأدوار هي:

أ- الطبيعيون الأوائل (المدرسة الأيونية) .

ب- الفيثاغورية (أشهرهم فيثاغورث) .

ج- المدرسة الإيلية (أشهرهم بارمنيدس) .

د - الطبيعيون المتأخرون (أشهرهم ديمقريطس) .

أولاً: (المدرسة الأيونية) الطبيعيون الأوائل:

سموا بالطبيين؛ لبحثهم في أصل الطبيعة أو الوجود.

وتعدّ مدرسة الطبيعيين الأوائل أول مدرسة ظهر فيها التفكير الفلسفي المنظم في بلاد اليونان، وقد قامت هذه المدرسة في مقاطعة أيونيا بآسيا الصغرى على ساحل البحر الأبيض المتوسط، وزعماءها أربعة هم: (طاليس، وأنكسمندر ، وأنكسمنس ، وهيراقليطس) .

نشأ الفلاسفة الثلاثة الأول في مدينة ملطية، والرابع في مدينة أفسوس، بحث هؤلاء الفلاسفة في الأصل الذي نشأ عنه العالم، واتفقوا أن هذا الأصل مادة موجودة في الطبيعة، ولكنهم اختلفوا في تعيين هذه المادة.

١- طاليس : فيلسوف مالطي، من أوّل وأشهر فلاسفة اليونان، عاش ما بين (٦٢٤ - ٥٥٠)

ق.م، وهو أحد الحكماء السبعة، درس العلوم دراسة عميقة، عمل مهندساً بحرياً، واستطاع أن يضع تقويماً بحرياً للملاحين يحتوي على إرشادات وقواعد فلكية كانت لها آثارها القيمة في تاريخ الملاحة البحري

ويمثل طاليس مرحلة مهمة في الفكر الفلسفي اليوناني ؛ لأنه نقل الفكر من الأسطورة إلى العلم. مذهبه الفلسفي: يرى طاليس أن أصل الكون هو الماء ، وهو الجوهر الأساسي الذي نشأ منه الموجودات على اختلافها ، فالماء قابل لكل صورة ، فحينما تجمد تكونت الأرض ، وحينما انحل تكون الهواء ، ومن الهواء تكونت النار ، ومن الدخان والأبخرة تكونت السماء.

ويرجع بعض الباحثين رأي طاليس إلى البابليين والمصريين القدماء ، فقد كان مألوفاً عند الأقدمين، فالأسطورة البابلية تقول: (في البدء قبل أن تسمى السماء وأن يعرف للأرض اسم كان المحيط وكان البحر) .

وفي قصة مصرية: (في البدء كان المحيط المظلم أو الماء الأول حيث كان آتون وحده الإله الأول صانع الآلهة والبشر والأشياء) .

ويفسر أرسطو سبب قول طاليس بأن النبات والحيوان كلاهما يغتذيان بالرطوبة ، ومبدؤها الماء ، وما منه الغذاء فهو يتكون عنه.

٢- أنكسمندر : عاش هذا الفيلسوف المالطي ما بين ٦١١-٥٤٧ ق.م وقد جاء بعد طاليس، فهو ثاني فلاسفة المدرسة "اليونية" .

وكان تلميذاً لطاليس، وضع تقويماً شمسياً كما وضع خريطة للعالم استخدمها الملطيون في رحلاتهم عبر البحر الأسود والبحر الأبيض المتوسط.

مذهبه الفلسفي: يرى أنكسمندر أن أصل الأشياء هو اللامحدود وهو الأصل، وليس عنصره مادياً كالعناصر الأربعة (الماء - التراب - النار - الهواء) وتسمى بالأسطقسات الأربعة أيضاً.

واللامتناهي هو أصل السماوات والعوالم الموجودة فيها فهو غيرها ويتضمنها في نفس الوقت ويعرف اللامحدود بأنه مادة أولية امتزجت فيها المتضادات (الحار - البارد) بصورة متعادلة.

ويستخدم أنكسمندر كلمة انفصال وانضمام لبيان نشأة الموجودات وهي بمعنى حركة التي استخدمها أرسطو فيما بعد.

لكن ما الذي أحدث هذا التغيير؟

يجب أنكسمندر أن ذلك حدث بشكل آلي وبمحض الصدفة، وهذا إنكار لوجود الخالق تعالى، ويبدو هنا أثره الواضح على القائلين بالصدفة والتطور.

٣- أنكسمنس: (٥٨٨-٥٢٨ ق.م)

مذهبه الفلسفي: قال بأن الأصل الذي نشأ منه الكون هو الهواء، وهو المبدأ الأول للوجود، والهواء عنده ليس المحسوس بل الميتافيزيقي، وسماه بالهواء لأنه أقرب الأشياء المحسوسة شبيهاً به، ويمتزج فيه الأضداد أيضاً كما قال سلفه أنكسمندر.

ومن الهواء الميتافيزيقي تكوّن جميع ما في العالم علويه وسفليه، وتتولد منه الأشياء عن طريق التخلخل والتكاثف، فإذا تخلخل صار ناراً، ومنها الكواكب والنجوم وسائر الأشياء النارية. وإذا تكاثف كانت الرياح والعواصف ثم تتكاثف فتنتج الأتربة والرمال والصخور.

٤- هيراقليطس: (٥٤٠-٤٧٥ ق.م)

مذهبه الفلسفي: ذهب إلى أن أصل الكون هو النار الإلهية وليست المحسوسة، فبتكاثفها يظهر كل ما تحجر كالأرض، وبالتخلخل يكون الماء، وبتخلخل الماء يصير الهواء، وبتخلخل الهواء تكون النار المحسوسة.

والتغير يجري في طريقتين: إلى أسفل وإلى أعلى، ومن تقابل هذين التيارين تتكوّن الموجودات من الحيوان والنبات، وعنده الكون في تغير دائم، وأثر عنه قوله: الإنسان لا ينزل النهر مرتين.

ثانياً: المدرسة الفيثاغورية:

الفيثاغوريون هم أتباع الفيلسوف الرياضي فيثاغورث بن منسارخس، ولد سنة ٥٧٢ ق.م في جزيرة ساموس من بلاد اليونان، سافر فيما بعد إلى مصر ثم استقر في جنوب إيطاليا وهناك أسس مدرسته. وذهب الشهرستاني إلى أنه عاصر نبي الله سليمان بن داود عليهما السلام.

مذهبهم الفلسفي: يرون أنّ أصل الكون هو: العدد، لأنّه أشبه بعالم الأعداد منه بعالم الماء أو النار أو الهواء، فالعدد أوّل مبدع أبدعه الباربي تعالى، وأوّل العدد: الواحد، وأن مبادئ الأعداد هي عناصر الموجودات، لأنّ الموجودات أعداد، والعالم على هذا مرّكب من عدد، والموجودات ليست إلا محاكية لنماذجها الأولى اللازمة لها وهي الأعداد، وما يتصور من مفارقة بينها فإنما هي في الذهن فقط لا في الحقيقة والواقع، ولا يمكن للأشياء عندهم أن يتميز بعضها عن بعض إلا بالعدد. فمثلاً الأطول يتميز عن الأقصر والأكبر عن الأصغر بزيادة وحدات وعدد فقط، لا بزيادة

شيء خارج عن العدد.

ثم إنّ لفيثاغورس رأياً في العدد والمعدود قد خالف فيه جميع الحكماء قبله وخالفه فيه من بعده وهو أنه جرد العدد عن المعدود تجريد الصورة عن المادة وتصوره موجوداً محققاً وجرد الصورة وتحققها وقال مبدأ الموجودات هو العدد.

ثالثاً: المدرسة الإيلية أو الإيليائية .

نشأت هذه المدرسة التي في مدينة إيلياء على الشاطئ الجنوبي الغربي من إيطاليا وزعيمها هو: " أكرينوفان " الذي أعلن أن الله واحد لا شريك له، وأنه يتصف بصفات الكمال ولا يتصف بشيء من الحوادث، وأن العالم في قبضته وأنه المحرك له، ولقد كان طابع هذه المدرسة عقلياً، وقد اهتمت في البحث عن أصل العالم الروحي، ولم تهتم إلا قليلاً بأصله المادي.

ويعتبر بارمنيديس الذي عاش ما بين القرن السادس والنصف الأول من الخامس من أشهر فلاسفة هذه المدرسة.

مذهبه الفلسفي: يرى أنّ أصل الوجود هو الوجود نفسه، فليس في الكون كله إلا هذه الحقيقة، ألا وهي حقيقة الوجود. وإذا أردنا وصف هذا الوجود بشيء فلا نستطيع وصفه إلا بأنه موجود. وعن هذا الأصل (الوجود) تنشأ وجودات الأشياء، ويتميز بعضها عن البعض بمقدار ما فيها من هذه الحقيقة الأولى.

رابعاً: الفلاسفة الطبيعيون المتأخرون.

وهم الفلاسفة الذريون، وأشهر فلاسفتهم ثلاثة، نشأ هؤلاء متعاصرين في القرن الخامس قبل الميلاد، وهم: ديمقريطس، وأنبادقليس، وأنكسجوراس.

مذهبهم الفلسفي: ينحصر مذهبهم في القول بأنّ أصل العالم هو الذرة. ويفسرون الكون والفساد (الوجود، والعدم) في هذا العالم على هذا الأساس، وتتكون الأشياء نتيجة تجميع عدد من الذرات، وفساد هذه الأشياء نتيجة افتراق هذه المجموعة أو تلك من الذرات، وهكذا كل ما يجري في هذا الكون من تغيرات.

ولقد أطلق على القائلين بهذا المذهب بالطبيين لأنّه كان في البدء مذهباً مادياً صرفاً أي طبيعي بحت، ولكي يتميزوا عن الطبيعيين الأول " فلاسفة أيونيا " سُموا بالطبيين الثواني.

ولما وجدت صعوبات في فهم حركات الذرات التي تتجه إلى تكوين الأشياء أو انعدامها، فإنّ

بعض أتباع هذا المذهب ذهب إلى أنّ الحركة تلقائية وذاتية في الذرة قائمة على قانون الجذب والمغناطيسية الذي يربط بعضها ببعض، وبالتالي يكون اجتماع الذرات وافتراقها على أساس هذا القانون وبمحض الصدفة.

وقال آخرون: إنه لا بد بجانب كل ذرة من هذه الذرات ذرة أخرى روحية أو عقلية تأخذ خصائص المدبر والمحرك .

وذهب أحد الفلاسفة الذريين "أنكسجوراس" (٥٠٠ - ٤٢٨ ق.م) إلى رفض ما ذهب إليه ديمقريطس من إرجاع أصل الكون إلى الذرات، قال إنّ مبدأ الموجودات هو: جسم أول متشابه الأجزاء، وهي أجزاء لطيفة لا يدركها الحس، ولا يناها العقل.

المرحلة الثانية: السوفسطائيون وسقراط (من سنة ٤٨٠ إلى ٢٩٩ ق.م)

تغير موضوع الفلسفة في هذه المرحلة، فأصبح الإنسان بدلاً من الكون الطبيعي المحسوس، وذلك أنّ السفسطائيين حوّلوا البحث الفلسفي من الطبيعة إلى الإنسان، بعد أن رأوا عدم جدوى البحث في العالم الطبيعي.

أولاً: السوفسطائيون.

السوفسطائي: هو المتحكم الذي يذكر وجوه المغالطات، وكيفية التحرز منها، والسوفسطائيون هم الذين لا يثبتون حقائق الأشياء.

نشأتم: بعد فلاسفة المدرسة الطبيعية الثانية طرأت على المجتمع اليوناني أحداث سياسية أدت إلى تطورات هامة تركت آثاراً سيئة في الحياة الدينية والأخلاقية والسياسية في بلاد اليونان.

وأهم هذه التطورات: اعتداد الفرد بذاته واعتزازه بشخصيته، وظهور موجة من الإلحاد التي تجلّت في إنكار الآلهة، وأنها لا تستحق التقديس أو العبادة، كما تجلّت في الثورة على كل قديم متعارف عليه، والإقبال على كل جديد مستحدث .

ونتيجة اختلاف الفلاسفة في بيان أصل العالم، وتناقض أقوالهم في ذلك حدث ارتياب لدى الناس، وظهر جماعة من الفلاسفة يوجهون النقد والتشكيك لآراء الفلاسفة السابقين، ثم اتسعت دائرة النقد والتشكيك لتشمل بجانب النظريات الفلسفية: العقائد الدينية وسلوك الإنسان في حياته، وحقائق الأشياء، وفي هذا الجو المشحون بالتمرد والإلحاد واتساع دائرة النقد والتشكيك ظهرت جماعة السوفسطائيين الذين كانوا مرآة صافية انعكست فيها صورة هذا العصر.

مذهب السوفسطائيين:

ذهب السوفسطائيون إلى أنه ليست هناك قضايا عامة تتساوى العقول في إدراكها، فالإنسان وحده هو مقياس كل شيء، فما يراه حقاً فهو حق بالنسبة إليه، وما يراه باطلاً فهو باطل بالنسبة إليه.

وهكذا هدم السوفسطائيون قواعد الأخلاق، وأنكروا الآلهة بالإضافة إلى إنكارهم حقائق الأشياء، وقالوا لا وجود لها إلا في الخيال، وصار الأمر فوضى وأصبح الناس أحزاباً متفرقة في آرائها، ونشأ الجدل والخطابة وفنون الحوار والمحاورة، وأصبح التزود بمثل هذه الأمور ضرورة للتغلب على الخصوم في المناقشات والمحاورات، ووسيلة للظهور والترقي في الحياة السياسية، بغض النظر عن تحري الحق في ذاته أو الوصول إلى الصواب.

وأهم ما يميز السوفسطائيين أنهم كانوا يعلمون الناس بالأجر، ويلقون الدروس للأغنياء مقابل أجراً زهيداً، وللعامّة بمبلغ أقل، وكانوا ينتقلون من مدينة إلى أخرى، ولهم قدرة فائقة في جلب التلاميذ، الذين يصطحبونهم أحياناً في تنقلاتهم.

ولما كانت الخطابة من أهم العلوم التي تهيئ الإنسان للنجاح السياسي فقد اختص السوفسطائيون بتعليمها للشباب الأثيني الراغب في الوصول إلى السلطة والمشاركة في السياسة.

أشهر فلاسفة السوفسطائيين:

١- بروتاجوراس. يعد بروتاجوراس من أشهر الفلاسفة السوفسطائيين، وتعد آراؤه مصدراً لمذهب هؤلاء الفلاسفة، ولد في مدينة أبديرا حوالي عام ٤٨٠ ق.م، ولقد طاف في أنحاء اليونان، ثم استقر به المقام في أثينا، و وضع كتاباً بعنوان "الحقيقة" شكك في وجود الآلهة، واعتبر الإنسان مقياس الأشياء جميعاً، ولكون أفراد الناس كثيرين فإنّ إحساسات الناس متعددة ومتناقضة أحياناً، والحواس هي وسيلة الإدراك الوحيدة ومالا يدرك بها فليس موجوداً. جاء في أول كتابه: " لا أستطيع أن أعلم إن كانت الآلهة موجودة أم غير موجودة، فإنّ أموراً كثيرة تحول بيني وبين هذا العلم، أخصها غموض المسألة وقصر الحياة"، فأنهم بروتاجوراس بالإلحاد، وحكم عليه بالإعدام، وأحرقت كتبه علناً، وفر هارباً، ومات غرقاً أثناء فراره سنة ٤١٠ ق.م

وعلى ضوء ما ذهب إليه بروتاجوراس يتبين ما يلي:

أ- إنّ الحقيقة المطلقة غير موجودة، لأن الحقائق تتعدد بتعدد الأشخاص واختلاف أحوالهم.

ب - يمتنع وقوع الخطأ، لأنه يمكن أن نتصور في شيء ما خلاف ما نتصوره عليه في وقت ما، فالحق يتعدد .

ج - إنَّ الفرد مقياس الخير والشر، والعدل والظلم.

٢- جورجياس (٤٨٠ - ٣٧٥ ق م).

وضع جورجياس كتابا في "اللاوجود" أورد فيه قضايا ثلاث:

١- لا يوجد شيء. ٢- إذا كان هناك شيء فالإنسان قاصر عن إدراكه. ٣- إذا فرضنا أن إنساناً أدركه فلن يستطيع أن يبلغه لغيره من الناس.

فرق السوفسطائية: يمكن أن نميّز في السوفسطائيين ثلاث فرق هي:

١- اللاأدرية: وهم الذين قالوا: نحن شاكون وشاكون في أنا شاكون، وهؤلاء هم الشكاك في الحقائق.

٢- العنادية: وهم الذين يقولون ما من قضية بديهية أو نظرية إلا ولها معارضة أو مقاومة لمثلها في القوة والقبول عند الأذهان.

٣- العندية: وسموا بذلك لأنهم يرون أن الحقائق حق عند من عنده حق، وباطل عند من عنده باطل، وأن مذهب كل قوم حق بالقياس إليهم، وباطل بالقياس إلى خصومهم، وقد يكون طرفا النقيضين حقاً بالقياس إلى شخصين، وليس في نفس الأمر شيء بحق.

تعقيب. مهما يكن من أمر هؤلاء السوفسطائيين، فإن لهم دورا لا ينكر في حياة اليونانيين، ومن إيجابياتهم: نشرهم التعليم في بلادهم وأسسوا علم البلاغة وبحثوا في الأخلاق، وعصرهم عرف بعصر النهضة الفكرية في اليونان .

وموضع الخطأ: هو الاعتماد على الحواس فقط، وتجاهل المعرفة العقلية .

وكان شكهم هداماً، وهو ما يعرف بالشك المنهجي الذي يمثل فيه الشك وسيلة وغاية، بخلاف الشك المنهجي الذي يتخذ من الشك وسيلة للوصول إلى اليقين .

ثانياً: سقراط ٤٧٠ ق م .

ظهر فلاسفة نصّبوا أنفسهم لمعارضة السوفسطائيين، وبيان ضلالهم ومن هؤلاء الفيلسوف اليوناني سقراط الذي ذاع صيته واشتهرت فلسفته.

ولد من أب صانع للتماثيل، وأم قابلة؛ احترف حرفه أبيه قليلاً، ولكنه تركها واشتغل بالفلسفة طول

حياته، وعلى العكس من السوفسطائيين لم يأخذ أجرا على تعليمه .
وكانت نهايته الإعدام لاثامه بإنكار الآلهة والدعوة إلى آلهة جديدة، وحكموا عليه بشرب السم؛
فمات على أثره .

منهجه في البحث والتفكير:

ابتدع سقراط منهجاً جديداً في التفكير والمحاورة يقوم على أمرين:

١- **التهمم السقراطي:** بناه على تصنع الجهل، والتظاهر بالتسليم لوجهة نظر الخصوم، ثم الانتقال إلى إثارة الشكوك حولها، ثم يستخلص من آراء الخصوم لوازم لا يستطيعون الالتزام بها لكونها متناقضة مع آرائهم ومعتقداتهم وبذلك يوقعهم في الحرج والتناقض. وكان قصد سقراط من هذا تنقية أذهان الناس من المعلومات الفاسدة، وتطهيرها من القضايا الكاذبة والمعارف الخاطئة التي ورثوها عن السوفسطائيين.

٢- **التوليد:** أي تولد الحقيقة من نفوس الخصوم، من خلال استنباطها عن طريق توجيه الأسئلة إليهم في نسق منطقي وترتيب فكري، ولم يكن حوارهم ينتهي إلى نتيجة معينة، وإنما كان القصد منه تنبيه الأذهان إلى ضرورة التزام الدقة في اختيار الألفاظ وإلى أن المعاني موجودة في النفس، ولا سبيل إلى استخراجها إلا بالحوار.

وهكذا كان استخدام سقراط لطريقة الحوار مع الخصم، بادعاء عدم المعرفة، لیتصيد من إجابة الخصم كلمة أو عبارة يسأله فيها حتى يعترف الخصم بالجهل، فيقرر سقراط الحقيقة كما يجب .
فلسفته . تدور فلسفة سقراط حول موضوع واحد هو الإنسان، وإذا ما تناولت الكون الطبيعي وموجوداته الحسية وظواهره، فإنما لكونها مركز الإنسان وبيئته، ومكان نشأته ونموه.

ويمكن القول بأن أساس آرائه يبني على:

أ- اعتقاده بوجود الحقيقة، وبإمكان معرفتها.

ب- ربطه العمل بالعلم، أي جعله المعرفة أساساً للسلوك.

والذي يهمننا من فلسفة سقراط أمران:

الأول: تحديده لمنهج المعرفة لما يترتب عليه من تحول كبير في موضوع الفلسفة ومنهجها في تاريخ الفكر اليوناني.

الثاني: تحديده لمفهوم الفضيلة لما يترتب عليها من وجهة نظره الأخلاقية.

سقراط والمعرفة: كان السوفسطائيون يرون أن المعرفة مقصورة على الإحساس، وهي لذلك تختلف باختلاف الأشخاص، فما يراه الشخص حقاً فهو عنده حق، وإن رآه الآخرون بخلافه، لأنّ الإحساسات تختلف باختلاف الناس.

فلما جاء سقراط أنكر قولهم في المعرفة، وأثبت أنّ العلم إنما هو في المدركات العقلية، وأن المعرفة تتكون من حقائق كلية، يستخلصها العقل - لا الحواس - من الجزئيات المتغيرة، ولما كان العقل عنصراً مشتركاً لزم أن تكون الحقيقة عند شخص معين هي نفسها الحقيقة عند شخص آخر، وهكذا.

الفضيلة عند سقراط: الفضيلة عنده أمر بديهي، في أساس تكوين الإنسان، لكن الإنسان حين يخطيء معاينة الفضيلة يظن الباطل حقاً والشر فضيلة؛ لهذا فإن الحقيقة التي يجب سقراط نقلها إلى الناس هي أنه عليهم إعادة فحص ما هم متيقنون من معرفته.

وذهب سقراط إلى الربط بين الفضيلة والمعرفة، فالإنسان الذي يرغب أن يكون فاضلاً، فلا بد أن يكون عارفاً، وبمقدار ما يُحصّل المرء من المعرفة، معرفة عن نفسه وما تشتمل عليه من ملكات وقوى، ومعرفته عن الكون بمقدار ما يكون المرء فاضلاً؛ إنّ معرفة الخير ستدفع إلى فعله، ومعرفة الشر تحض المرء على تركه، والإنسان يبتعد عن فعل الخير ويسلك الشر لأنّه جاهل بالخير والشر. ويرى سقراط أنّ الإنسان روح وعقل يُسيّر الجسم ويدبّره، وليس مركباً من الهوى والشهوة كما ذهب السوفسطائيون، وذهب إلى أن القوانين العادلة لا مصدر لها إلا العقل وهي متفقة مع القوانين غير المكتوبة التي رسمتها الآلهة في قلوب البشر، فمن يحترم القوانين العادلة إنّما هو في الواقع يحترم العقل والنظام الإلهي. بحثه فيما وراء الطبيعة:

بحث سقراط فيما وراء الطبيعة فذهب إلى أنّ النفس ليست مجرد مبدأ الحياة، بل هي أهم من ذلك، هي: "الذات الأخلاقية"، وقال بخلود النفس، وأقام الأدلة على وجود الإله، وهو في نظره إله خير، لا يدركه العقل، ولا يحيط به الوصف، ولا يصدر عنه إلا كل صلاح، ولا يشبه الحوادث في قول أو فعل، وأنه واحد لا يتغير ولا يتبدل، والواجب على الإنسان أن يطيع أوامره مهما كلفه من مشقة وتعب.

وهكذا ركّز سقراط في فلسفته على بناء الحقائق والمفاهيم التي شكك السوفسطائيون في وجودها، وكان طريقه في ذلك استخدام العقل مع الاستعانة بالإدراك الحسي بلا شك .

وقد أثبت أن حقائق الأشياء ثابتة.

ويرى أن العمل الأخلاقي مؤسس على المعرفة أيضا ، والفضيلة عنده هي المعرفة ، فمن عرف الخير عمله ، ومن عمل الخير بلا معرفة فليس خيرا، وكل شر هو غير مقصود وناتج عن الجهل.

وأخطأ سقراط في :

- ١- أنه اعتبر عمل الخير الناتج عن عدم معرفة لا يعتبر خيرا .
- ٢- المعرفة وحدها لا تكفي؛ بل لا بد من الإرادة .
- ٣- الإنسان ليس عقلا فقط، بل معه عواطف وشهوات لا ينبغي إغفالها .

المرحلة الثالثة: أفلاطون وأرسطو.

في هذه المرحلة اتسع نطاق الفلسفة حيث صار موضوعها شاملاً لكل بحث إنساني، وامتاز هذا العصر بتبويب وتنظيم المسائل الفلسفية، وبلغت الفلسفة فيه كمالها، وكان ذلك على يدي: أفلاطون وتلميذه أرسطو من عام ٤٢٧ إلى ٣٢٢ ق .م.

أولا: أفلاطون ٤٢٧ ق . م .

ولد في أثينا سنة ٤٢٧ ق.م من أسرة عريقة غنية، ذات شأن في السياسة والملك والحكمة، تتقف ثقافة واسعة حيث تعلم الرياضة والشعر، واطلع على المذاهب الفلسفية، ولما بلغ سنّ العشرين تعرف على سقراط، فلزمه وتلمذ عليه مدة ثمانية أعوام، نقل خلالها الكثير من أفكاره وتعاليمه، والتي تركت بدورها أثراً كبيراً في حياة أفلاطون وتفكيره الفلسفي.

وبعد موت أستاذه سقراط غادر أفلاطون أثينا إلى ميغاري، وأقام بها عند الفيلسوف أقليدس، الذي أسس مدرسة فلسفية في هذه المدينة، ثم غادرها إلى مصر التي درس فيها الرياضة دراسة وافية، واطلع على علومها ودياناتها، وفي سنة ٣٧٠ ق.م غادر مصر إلى إيطاليا، وهناك تعرف على الفيثاغورثيين واتصل بهم ودرس مذهبهم.

لقد جمع أفلاطون من خلال رحلاته وتنقلاته بين ثقافات الشرق والغرب؛ الأمر الذي أسهم في فلسفته التي جاءت متعددة الجوانب الفكرية، متعددة الموضوعات.

مؤلفات أفلاطون :

تمتاز مؤلفاته بتمثيلها لمراحل حياته الفكرية الثلاث:

المجموعة الأولى: هي التي كتبت في الفترة التي قضاها في أثينا، والتي أحاطت بموت أستاذه سقراط

وقبل رحلاته خارج أثينا، وتمثل كتبه في تلك الفترة فلسفة أستاذه سقراط. المجموعة الثانية: كتبها بعد رحلته إلى ميغاري وغيرها من البلاد، وآراؤه فيها خليط من آراء أستاذه سقراط وصديقه أفليدس الذي تعرّف عليه في ميغاري، وآرائه الشخصية التي تمثل فلسفته وتفكيره الخاص .

المجموعة الثالثة: كتبها بعد استقراره في أثينا، ولما وصل درجة لنضج والصفاء الذهني، ويمكن أن تعبر عن استقلاله في التفكير الفلسفي.

أسلوبه في الكتابة :

المعنى النظر فيما كتبه أفلاطون يجد أنه اعتمد على أسلوب المحاورّة التي تعد من ابتكاره كما ذهب إلى ذلك جمع من المؤرخين، وهي نوع خاص من أنواع الكتابة تشمل فنونا ثلاثة الدراما والمناقشة والشرح المرسل، وعن طريقها سجل أفلاطون آراء أستاذه سقراط .

فلسفة أفلاطون.

شملت فلسفة أفلاطون موضوعات متعددة أهمها ما يلي:

- ١- نظرية المعرفة من حيث مراحلها وكيفية تحصيلها.
- ٢- نظرية المثل، وهي بحث عن الحقيقة المطلقة فيما وراء الطبيعة.
- ٣- الطبيعة، وتبحث في ظواهر الوجود من حيث هو مادة يلازمها ملازمة ضرورية كل من المكان والزمان.
- ٤- الأخلاق وتبحث في واجبات الفرد نحو غيره .

٥- السياسة وتبحث في واجبات الإنسان نحو المجتمع، وفيها وضع أفلاطون نظريته في الحكم الجمهوري، وفي المدينة الفاضلة، وهو ما يعرف بجمهورية أفلاطون.

وبهذا يتبين أن أفلاطون تناول في فلسفته موضوعات شتى، وأنه تميز عن الفلاسفة قبله الذين كانوا يقصرون مباحثهم على موضوع واحد أو موضوعين. لقد شملت فلسفة أفلاطون: الطبيعة، وما وراء الطبيعة، المعرفة، والمثل والأخلاق والسياسة والمدينة الفاضلة، والنفس الإنسانية.

منهجه الفلسفي:

سلك أفلاطون في منهجه الفلسفي التوفيق والتنسيق بين المذاهب الفلسفية التي سبقته، إذ لم ير في تعارضها سبباً للشك مثل السوفسطائيين، إن آراء السابقين عنده حقائق جزئية والحقيقة

الكاملة تقوم بالجمع بينها وتنسيقها في كلٍ يجمع الأجزاء ويؤلفها. وطريقة التوفيق هي حصر كل وجهة في دائرة، وإخضاع المحسوس للمعقول، والحادث للضروري، إنّه جمع بين تغيّر هرقليطس ووجود بارمنيدس، ورياضيات فيثاغورث وأصحابه وعقيدتهم في النفس، وجواهر ديمقريطس، وعناصر أنبادوقليس، وعقل أنكساغوراس، ومذهب سقراط. إنّه لم يرد شيئاً من تفسف السابقين، بل انتفع بكل شيء ثم طبع هذا التفسف بطابعه الخاص وزاد فيه، فتوسع وتعمّق إلى حدّ لم يسبق إليه، إنه أراد أن يدلل على صحة كل المعتقدات، وهذا من أغرب ما يكون في تاريخ الأديان، وكأنه نواة إلى القول بدعوى وحدة الأديان.

جوانب من فلسفته :

١- نظرية المعرفة.

بحث أفلاطون مسألة المعرفة ووجد نفسه بين رأيين متعارضين:

الأول: يرد المعرفة إلى الإحساس.

الثاني: يضع المعرفة الحقّة في العقل.

فاستقصى أنواع المعرفة فوجد أنّها أربعة:

١- الإحساس. وهو إدراك عوارض الجسام في اليقظة وصورها في المنام.

٢- الظن. وهو الحكم على المحسوسات بما هي كذلك.

٣- الاستدلال. وهو علم الماهيات المنحققة في المحسوسات.

٤- العقل. وهو إدراك الماهيات المجردة من كل مادة.

ويتدرج أفلاطون في المعرفة من الإحساس إلى الظن إلى العلم الاستدلالي إلى التعقل المحض مدفوعاً بقوة باطنة، وهو ما سماه بالجدل الصاعد.

وجميع الماهيات- التي يتوصل إليها العقل- حاصلة عن موجودات مجردة ضرورية مثلها لأن (المعرفة شبه المعروف حتماً)، فتؤمن النفس بعالم معقول هو مثال العالم المحسوس وأصله، يدرك بالعقل الصرف الماهيات متحققة فيه بالذات على نحو تحقّقها في العقل مفارقة للمادة بريئة عن الكون والفساد (يعني أنّها أبدية) ففي هذا العالم الإنسان بالذات والعدالة بالذات الخ هذه المعاني، فهي مبادئ ومثل الوجود المحسوس والمعرفة جميعاً، فالمثال هو الشيء بالذات والجسم شبح للمثال، والمثال نموذج الجسم أو مثله الأعلى متحققة فيه كمالات النوع إلى أقصى حد.

٢- آراء أفلاطون الفلسفية فيما وراء الطبيعة.

الجانب الإلهي في فلسفة أفلاطون.

أ - الله عند أفلاطون: يربط أفلاطون بين العلة ومعلوها ربطاً دقيقاً محكماً، فالعلة الحقة للوجود لا بد أن تكون عاقلة تدرك معلوها قبل وقوعه، وتضع كل ما يحتاج إليه من الوسائل مرتبة ترتيباً منطقياً وفعله لا بد أن يكون لغاية.

والاعتقاد في الألوهية واجب على كل إنسان، وهذا الاعتقاد ليس طارئاً ولا مكتسباً، إنه مغروز في طبيعة النفس الإنسانية، فالإنسان طبع على التدين، والاعتقاد بوجود إله أمر مركز في طبيعة الإنسان التي خلقت مع فطرته التي فطره الله عليها .

ولذا فإن معرفة الله واجبة، وعبادة الله وتعظيمه فرض على كل إنسان، وهنا وصل أفلاطون في تفكيره إلى إدراك الألوهية والاعتراف بوجود إله لهذا الكون مدبر له ومهيمن عليه.

وحكى عنه تلامذته: أنه كان يقول: إنَّ للعالم محدثاً مبدعاً، أزلياً واجباً بذاته عالم بجميع معلوماته على صفة الأسباب الكلية، كان في الأزل ولم يكن في الوجود رسم ولا طلل إلا مثلاً عند الباري تعالى، ربما يعبر عنه بالهولي، وربما يعبر عنه بالعنصر.

ب - أدلة وجود الله عند أفلاطون.

يثبت أفلاطون وجود الله تعالى بدليلين هما:

١- دليل الحركة .

٢- دليل النظام.

وهو يستمد هذين الدليلين من ظاهرتي الحركة الجارية في الوجود والمتعاقبة على كل موجوداته، وظاهرة النظام البادي في كل جزء من أجزاء الوجود.

ج - صفات الله عند أفلاطون.

وصف أفلاطون الله بالوجود والوحدة، ثم أضاف إليه من الصفات ما يجعله موجوداً منفرداً عن كل ما سواه، وبما استحق به أن يكون فوق قمة الموجودات، وأن يكون مدبرها وصانعها.

فمن صفات الله: أنه روح عاقل منظم، متصف بالجمال، والخير، والعدل، والكمال، والبساطة، ثابت لا يعتريه تغير، صادق لا يعرض له الكذب، لا يخضع للزمان، يكون وحده في حاضر مستمر، يتجه إلى العالم بعنايته.

٣- آراء أفلاطون في الطبيعة .

أ - علاقة الله بالطبيعة (الكون) عند أفلاطون.

يفسر أفلاطون الكون على أساس نظريته في المثل وثنائية العالم، فالعالم كان في المبدأ مادة مبهمه غير معينة، ولا يعرف عنها غير صلاحيتها لتقبل الصور، وأن هذه المادة تحركت أولاً حركة اتفافية باستمرار حتى اتحدت ذراتها المتشابهة بالشكل وكونت العناصر الأربعة، وبعد أن وصلت تلك المادة إلى هذا النظام عين الصانع لكل منها مكاناً .

ولا يقصد أفلاطون بالحركة الاتفافية ما قصده الطبيعيون من القول بالصدفة والاتفاق، بل قصد أن الصانع المبدع المدبر وضع الروح فوق المادة فألفت الانسجام والنظام الحاصل بين الأشياء، والكمال الموجود بين الكائنات نظمته قوة عاقلة هي التي تسير العالم إلى غاية .

ويبدو من كلام أفلاطون أن العالم محدث، مما جعل أرسطو يعتبره مخالفاً للفلسفة الأقدمين. وقد اختلف شراح فلسفة أفلاطون في الحدوث الذي ذهب إليه أفلاطون، هل هو المراد منه الحدوث الحقيقي أي سبق العدم على الوجود، أم أن المادة ليست أصلاً بذاتها بل هي متغيّرة بفعل النفس العامة التي خلقها الصانع ليتكون من المادة الأولى المبهمه هذا النظام الكامل.

ب - نظرية المثل عند أفلاطون .

وصف أفلاطون العالم المعقول بأنه إلهي لاشتراكه مع الإله في الروحية والعقل لكنه يصنف العالم العقلي في مراتب مختلفة أعلاها وفوق قمتها جميعاً الله عز وجل. وكان كثيراً ما يطلق اسم الإله أو الإلهي على بعض المثل: كمثل الخير، ومثال الجمال، وآلهة الكواكب، وآلهة الجن... وكل ما عدا الله من مجردات هي مبادئ للتدبير آلهة باشتراك الاسم فقط، لأن كل واحد منهم يمثل قمة نوع أو مقولة، ولا يأخذون كل خصائص الله، وإنما يستمدون منه وحدة وجودهم وخلودهم.

ويرى أفلاطون أن المعاني الكلية المجردة لها وجود وتحقق ذاتي فيما وراء الطبيعة، وهذه المعاني أو الجواهر المجردة لا تدركها الحواس ولا يطرأ عليها الفساد والفناء، ووجودها هو موضوع العلم اليقيني، ولولا وجود هذه الجواهر ما استفدنا العلم، وما استطعنا العلم بشيء علمياً يقينياً، إنها العلم المعقول الذي هو أصل العالم المحسوس ومثال له، فالكليات هي الموجود الحقيقي، أما هذا الموجود المادي فليس إلا ظلاً وخيالاً له .

فالوجود في مذهب أفلاطون طبقتان متقابلتان:

طبقة العقل المطلق، وطبقة المادة الأولية أو الهيوولي، والقدرة كلها من العقل المطلق، والعجز كله من الهيوولي؛ وبين ذلك كائنات على درجات، تعلق بمقدار ما تأخذ من العقل، وتسفل بمقدار ما تأخذ من الهيوولي؛ وهذه الكائنات المتوسطة، بعضها أرباب، وبعضها أنصاف أرباب، وبعضها نفوس بشرية.

وقد ارتضى أفلاطون وجود تلك الأرباب المتوسطة، ليعلل بها ما في العالم من شر ونقص وألم، فإن العقل المطلق كمال لا يحده الزمان والمكان، ولا يصدر عنه إلا الخير والفضيلة، وهذه الأرباب الوسطى هي التي تولت الخلق، لتوسطها بين الإله القادر والهيوولي العاجزة، وجاء النقص والشر والألم من هذا التوسط بين الطرفين.

مما سبق يتبين لنا أن أفلاطون يرى أنّ هناك عالمين اثنين:

العالم الأول: عالم الحس المشاهد، دائم التغير، عسير الإدراك، ليس جديراً بأن يسمى موجوداً، ولا يسمى إدراكه علماً، بل هو شبيه بالعلم لأنه ظل وخيال للموجود الحقيقي .

العالم الثاني: عالم المجردات، فيه أصول العالم الحسي وهو مثاله الذي صيغت عليه موجوداته كلها، ففي عالم المثل يوجد لكل شيء مثال هو في الحقيقة الموجود الكامل، لأنه مثال للنوع لا للجزء المتغير الناقص، وفي عالم المثل إنسانية الإنسان وحيوانية الحيوان، وخيرية الخير... وهكذا.

ومثال ذلك: إذا نظرنا في أفراد الإنسان الممثلة في إبراهيم وزيد وعلي وجدنا كلاً من هذه الأفراد جسماً نامياً ومتحركاً بإرادته، وهي ما نعبر عنه بقولنا: حيوان، ووجدناها تشترك أيضاً في التفكير بالقوة المعبرة عنه بـ "النطق" وبجوار هذه الصفات الجوهرية المشتركة بين جميع الأفراد توجد صفات عارضة كالنوم والمرض والمشى، فنستبعد الصفات العارضة ونبقي الصفات الجوهرية، مرتبين إياها في جنس وفصل، فيصبح التعريف حينئذ تعريفاً بالحد التام، حيث يكون تعريف الإنسان "حيوان ناطق" وكل من الحيوان والناطق مدرك عقلي منتزع من أفراد الإنسان الحسية بعد تجريده من المادة، فهو صورة عقلية مجردة عن المادة، وهذه الصورة العقلية المجردة لها حقيقة خارجية مجردة عن المادة، لها كيان خارجي مستقل بحيث تكون تلك الصورة مرآة لها ومنطبعة عليها .

هذه الحقيقة الخارجية المجردة التي تنطبق عليها الصورة العقلية الكلية هي ما يسميها أفلاطون "مثال الإنسان".

فمثال الإنسان: "هو تلك الحقيقة المجردة الكائنة في العالم المعقول وهو عالم المثل، نظر إليه الصانع وصنع على شكله أشخاص الإنسان المحسوسة.

وبين العالم الحسي وعالم المثل يوجد العقل الإنساني الذي تتحقق فيه معرفة حالة من حالات تلك المعاني الكلية والجواهر المجردة.

وعلى هذا فإن الأشياء لها ثلاث وجودات:

الأول: أعلاها وجود المجردات في عالم المثل.

الثاني: أوسطها وجودها الذهني غير الخارجي، وبواسطتها يمكن الحكم على المحسوسات ومعرفة المجردات في عالم المثل .

الثالث: أدناها وأحطها وهو وجودها المشاهد في عالم الحس.

وقد استشهد أفلاطون بأسطورة الكهف ليبين بأن العالم الذي يعيش فيه الإنسان هو عالم غير حقيقي، وأن العالم الحقيقي هو عالم المثل الذي يوجد فوقه الخير الأسمى والذي يمكن إدراكه عن طريق التأمل العقلي والتفلسف.

أسطورة الكهف الأفلاطوني .

يحكي أفلاطون في هذه الأسطورة عن أناس مقيدون منذ طفولتهم في كهف مظلم، بحيث تعوقهم تلك القيود من الالتفات إلى الورا أو الصعود خارج الكهف.

وفي الكهف يوجد ما يشبه النافذة التي يطل منها نور ينبعث من شمس مقابلة للكهف .

وبين النور ونافذة الكهف هناك طريق يمر منه أناس يحملون أشياء عديدة، وحينما تضرب أشعة النور في تلك الأشياء تنعكس ظلالها على الجدار الداخلي للكهف، وهكذا لا يرى السجناء داخل الكهف من الأشياء الموجودة خارج الكهف إلا ظلالها، وقد حدث أن تم تخلص أحدهم من قيوده بحيث تمكن من الصعود خارج الكهف، وقد أدرك أن الأشياء خارج الكهف تختلف عن الأشياء بداخله، بحيث تعتبر هذه الأخيرة مجرد ظلال أو نسخ للأولى.

لكن إلى ماذا ترمز هذه الأسطورة ؟

يرمز الكهف إلى العالم المحسوس الذي يحيا فيه الإنسان حياته الحاضرة، وترمز القيود إلى الجسم الإنساني الذي يجعل معرفة النفس مقيدة بإدراكها للموضوعات المحسوسة.

أما العالم خارج الكهف فهو يرمز إلى عالم المثل الذي عاشت أنفسنا فيه قبل حياتها الحاضرة

والذي ستعود أنفسنا إلى الحياة فيه من جديد بعد انفصالها عن الجسم.
ويرمز الناس المارون خارج الكهف إلى الحقائق المطلقة الموجودة في عالم المثل.
أما الظلال التي تنعكس داخل الكهف فترمز إلى أشياء العالم المحسوس، وهي في نظر أفلاطون مجرد نسخ للمثل.

لكن كيف عرفنا المثل؟

يرى أفلاطون أن معرفة المثل تتم عن طريق التفكير، لأن النفس كانت في حياة سابقة على هذه الحياة الراهنة في صحبة الآلهة تشاهد موجودات ليس لها شكل ولا لون، ثم ارتكبت إثماً فهبطت إلى البدن، فهي إذا أدركت أشباح المثل بالحواس تذكرت المثل (العلم تذكر والجهل نسيان).

ج - صفات المثل عند أفلاطون.

- ١- أنها عناصر: ومعنى ذلك أن وجودها في نفسها لم يصدر عن شيء آخر، إنها أساس الأشياء، ولا شيء أساس لها، وأنها لا تعتمد على غيرها، وغيرها يعتمد عليها.
- ٢- أنها عامة لا خاصة: فمثال الإنسان مثلاً ليس إنساناً خاصاً، وإنما هو الحقيقة العامة لكل إنسان، وكل مثال وحده لا يتعدد، وإنما يتعدد أفراده.
- ٣- هذه المثل ليست مادية، بل هي مجردة عن المادة، وجودها في نفسها مستقل عن كل عقل، وما في العقل صورة لها، وهي أزلية أبدية لا تفتى، وإنما يفنى أفرادها، وأنها لا يحدّها زمان ولا مكان وإلا كانت شخصية.
- ٤- إنها معقولة، بمعنى أن العقل في إمكانه أن يدركها بالبحث والاستنباط.

نقد نظرية المثل الأفلاطونية.

تعرضت نظرية المثل لانتقادات حادة من أهمها :

- ١- إذا كانت المثل موجودة وقائمة بذاتها، وهناك العدل في ذاته والجمال في ذاته والإنسان في ذاته، فهل يمكن تعميم هذه النظرة على كل شيء فنقول إن هناك مثال للشعر والوحل والقذارة ؟ لا يستطيع جوابا .
- ٢- لو كان هناك مثال للإنسان له وجوده الذاتي، لكان الشيء الواحد موصوفا بالصفات المتضادة، كعلم زيد وجهل عمرو وطول علي وقصر خالد .

٣- لماذا احتاجت المثل إلى المحسوسات لتطبع صورها عليها في الوقت الذي توصف فيه المثل بأنها حقيقة كاملة: أليس هذا يشعر بالنقص؟ إذن ليست المثل كافية لتعليل وجود هذا العالم المحسوس.

ثانياً: أرسطو طاليس ٣٨٥ - ٣٢٢ ق . م .

ولد أرسطو في مدينة أسطاغيرا التي سميت أخيراً أسطافرو وهي مدينة يونانية قديمة على ساحل بحر إيجه، واشتهرت أسرة أرسطو بالطب فأبوه كان طبيباً لأحد ملوك مقدونيا توفي والده وهو صغير. التحق أرسطو وهو في سن الثامنة عشرة بأكاديمية أفلاطون بأثينا، فتفوق على زملائه، وأظهر من الذكاء والفتنة والاطلاع الواسع ما جعله يكسب إعجاب أستاذه أفلاطون، فكان يسميه تارة العقل، وتارة القراء.

لقد استمر أرسطو ملازماً لأفلاطون في أكاديميته عشرين عاماً، قضى بعضها في التعليم والبعض الآخر في التدريس، فلما مات أفلاطون ترك الأكاديمية نهائياً، غادر أرسطو أثينا متوجهاً إلى آسيا الصغرى، وبها تزوج، وبعد بضع سنوات عاد إلى أثينا وأسس مدرسة في أحد ملاعبها الرياضية، وقد اعتاد أرسطو إلقاء دروسه على تلاميذه وهو ماشياً يسير على الأقدام بجوار الملعب، فعرفت مدرسته الفلسفية "المدرسة المشائية"، وسمي أتباعه "المشائين"، وعرفت فلسفته "بالفلسفة المشائية".

اتهم أهل أثينا أرسطو بالإلحاد - كما اتهموا سقراط من قبل - مما اضطره إلى مغادرة أثينا بعد أن أوكل أمر المدرسة إلى تلميذه ثاوفرا أسطوس، استقر أرسطو في مدينة خلكيس في جزيرة أوبا إحدى الجزر اليونانية، وبها توفي نتيجة إصابته بمرض معوي وهو في سن الثالثة والستين .

مؤلفات أرسطو:

دوّن أرسطو في مختلف فروع الفلسفة، فله مؤلفات في المنطق، وفيما وراء الطبيعة وفي الطبيعة، والأخلاق والسياسة والفن والخطابة والشعر، وأشهر كتبه في المنطق، وقد عرفت باسم "الأورغانون" ومعناه الآلة الفكرية.

وتتميز فلسفة أرسطو في كتبه بمنهجين :

الأول: منهج نقدي تحليلي. حيث قام أرسطو بإيضاح فلسفة السابقين وتحليلها ونقد ما لا يعجبه منها أو تزييفها، ولم يسلم من نقد أستاذه أفلاطون، وخاصة نظريته في المثل، حيث لم يعترف فيها أفلاطون بعالم المحسوسات .

وإذا كان أفلاطون يرى أنها أوهام وخيالات فإن أرسطو يرى أن الوجود الخارجي في حقيقته ليس إلا هذه المحسوسات، وأن مفاهيم الأشياء المحسوسة ومعانيها الكلية لا وجود لها في الخارج مستقلة عن وجود أفرادها الحسية الجزئية.

الثاني: منهج تأسيس بنائي. وضع أرسطو أسساً لمذهب فلسفي جديد خاص به، وقد جاء هذا المذهب نتيجة محاولات فكرية وإطلاع واسع على فلسفة من سبقوه.

منطق أرسطو.

ذهب أرسطو إلى أن المنطق قانون للفكر منظم لعملياته، وهو ميزان للبحث العقلي، وضابط لصحيحه من فاسده، وهو الذي يصلح كرباط أو آلة ارتباط بين عالمي الحس والعقل، وبه ترتبط كليات هذا الوجود بجزئياته وكلياته، وجزئياته بعضها ببعض.

ويعتبر أرسطو أول من نَظَّم المنطق كعلم له موضوع معين يتميز به عن سائر العلوم، فكان أول من بَوَّب أبوابه وفصَّل فصوله، ووضع أجزاءه على النحو الذي نراه اليوم، ولعمله هذا سُمِّيَ أرسطو بالمعلم الأول.

فلسفة أرسطو.

فلسفته فيما وراء الطبيعة: وتسمى الفلسفة الأولى أو ما بعد الطبيعة، وموضوع هذه الفلسفة هو الوجود الثابت الذي لا يتغير. سبق أن بينّا أنّ أفلاطون أستاذ أرسطو يرى أن الموجودات الطبيعية ليست إلا ظلالاً للمثل، أما أرسطو فقد عارض أستاذه فقرر أنّ الموجودات الحقيقية هي الموجودات المحسوسات، وأما المثل التي هي الكليات فليس لها إلا الوجود العقلي فحسب. والعقل ينتزع المثل - المفاهيم - من الموجودات الحقيقية، وهذه الموجودات تدرك بالمشاهدة لا بالفكر. وإذا كان وجود الأجسام الطبيعية حقيقياً فإن أرسطو أخذ في تفسيرها وقال إنها مركبة من مبدئين: الهولي والصورة.

فالهولي: هي مادة غير معينة أصلاً، وتوصف إذا خلعت عليها الصورة.

والصورة: هي المبدأ الذي يعين الهولي ويعطيها ماهية خاصة.

وتعتمد فلسفة أرسطو فيما وراء الطبيعة على نظريته في العلة.

ويقسم العلة إلى أربعة أنواع هي:

١- العلة المادية: هي المادة التي تتكون منها الأشياء كالبرنز للتمثال، والخشب للكرسي.

- ٢- العلة الفاعلة أو المحركة: وهي ما يؤثر في إيجاد الشيء كالصانع للتمثال أو الكرسي.
- ٣- العلة الصورية: وهي الأوصاف والمميزات التي بها تكون حقيقة الشيء وماهيته، وهو ما به أصبح التمثال تمثالاً والكرسي كرسيًا.
- ٤- العلة الغائية: وهي التي تشكل الغاية من وجود الشيء وهو المقصد والهدف من إقامة التمثال.
- وقد اختصر أرسطو العلل الأربع في علتين فقط هما:
- أ- العلة المادية. ب- العلة الصورية.

وفعل هذا لاعتقاده بأن العلة الغائية ترجع إلى الصورة، والعلة الفاعلة ترجع إلى المادة. ثم أطلق على ما أسماه العلة المادية بالهيوولي، وما أسماه بالعلة الصورية بالصورة. وعلى الهيوولي والصورة يعتمد أرسطو في تفسيره لتغيرات هذا الوجود وما يحدث فيه.

علاقة الهيوولي بالصورة:

يرى أرسطو أن الهيوولي لا تشكل موجوداً ما إلا بعد أن تأخذ صورته، فهي في الخارج لا توجد مستقلة عن صورة ما، وإنما وجودها فيه يكون بحلول صورة الشيء الموجود في تلك الهيوولي المطلقة، فإن حلت في الهيوولي صورة نبات وجد النبات في الخارج بمادته وصورته. وإن حلت فيه صورة حيوان وجد في الخارج حيوان بصورته ومادته. وهكذا تتعاقب الصورة على المادة فتتشكل منها مختلف الأنواع والأجناس في عالم الموجودات. إنَّ المادة في نظر أرسطو هي وجود الشيء بالقوة، وأن الصورة عبارة عن وجود الشيء بالفعل، فوجود الأشياء هو خروجها من القوة إلى الفعل وإعدام ما يعدم منها ليس إلا رجوعاً من الفعل إلى القوة.

الإله عند أرسطو :

أ - وجود الله عند أرسطو: اعتمد أرسطو على الحركة في إثبات وجود الله فقال: إنَّ كل متحرك لابد له من محرك، وهذا المحرك لا يمكن أن يحتاج إلى محرك آخر يستمد حركته من غيره، وإلا لتسلسل الأمر إلى غير نهاية، فلا بد من أن ينتهي الأمر إلى محرك أولي يُحرِّك ولا يتحرك، أو يفعل في غيره ولا ينفعل بغيره، وإلا لَمَا كان أولاً، وذلك المحرك الأول هو الله.

فالله عند أرسطو هو العلة الأولى، أو المحرك الأول.

هذا المحرك عند أرسطو لا يتحرك وسرمدي، لا أول له ولا آخر، وأن يكون كاملاً منزهاً عن

النقص والتركيب والتعدد، وأن يكون مستغنيا بوجوده عن كل موجود . وهذا المحرك سابق للعالم في وجوده، سبق العلة لا سبق الزمان، كما تسبق المقدمات نتائجها في العقل، ولكنها لا تسبقها في الترتيب الزمني . لأن الزمان حركة العالم، فهو لا يسبقه .

والله في نظر أرسطو ذات أزلية ليس جسماً، ليس في مكان، وهو بسيط لا كثرة فيه بوجه من الوجوه، وذهب أرسطو إلى أن الله لا يعقل إلا ذاته، وينفي علم الله بالعالم لأن في ذلك سقوطاً يجب تنزيه الله عنه، وأنه لا يليق بالله المتصف بالكمال أن يعلم العالم وهو أقل منه، فلو علمه كان ناقصاً مثله .

الواحد لا يصدر عنه إلا واحد، ويصدر عنه فقط العقل الفعال، لأنه لو صدر عنه أكثر من واحد لحصل تكثر في ذاته.

تعقيب: لم يستطع أرسطو أن يبين لنا ما الذي جعل مادته المزعومة تتحرك وتحاول التشبه بتلك الصورة المحضة، وكيف كانت المادة أو الهولي الأولى قبل حلول الصورة فيها إمكاناً أو قوة، والإمكان معنى من المعاني التي توصف بها المادة وليس هو المادة.

ومن ثمّ اتهم أرسطو بالإلحاد، وإذا كان الله عنده لا يتصل بالعالم من جهة الخلق والتدبير، ولا من جهة العلم، فما قيمة هذا الإله ؟ وما منزلته؟ وما الفائدة من الإيمان بوجوده ووحدانيته، وكونه محركاً للعالم؟

إنّ هذا الرأي الذي نادى به أرسطو - أنّ الإله لا يعقل إلا ذاته - يستلزم أنّ الله لا يعلم العالم بحجة أن العالم شيء دنيء بالنسبة إلى الله، وأن الأشياء توجد وتنعدم دون أن يريد الله لها ذلك أو يعلم من أمرها شيئاً .

إن الإله في نظر أرسطو سيكون منطوياً على نفسه، غير عالم بشيء من الكون، ولا مريداً لما يجري فيه من أحداث، فهو إذاً ينفي التدبير الإلهي للعالم.

ولذا تعرض أرسطو نتيجة هذا الرأي لحملة من الهجوم من قبل تلاميذه، وغيرهم من الحكماء . الإلهيات عند أرسطو باطلة في معظمها قائمة على الظن والتخمين، ووقع في تناقضات كثيرة ، فعدم الحركة ، ووصف الله بالمحرك غير مقبول فهو الخالق وليس المحرك لما يشعر قوله بالحركة بأنه فاعل بالاضطرار والعالم أزلي .

وهذا لا يتناسب مع الألوهية فله صفاته التي تقتضي أن يكون مدبراً للكون .

لهذا استبعد أرسطو أن يكون الله مدبرا للعالم .
وذهب إلى أن الله لا يدرك غير ذاته، ولا يعلم شيئا عن العالم، ويظن أن علمه به يصيبه من خلاله
التعب، وليس علة فاعلة له، فهو يفعل بالضرورة لا بالاختيار .
وقوله بأنه يعقل ذاته فقط وهذا كماله، قول غريب إذ كيف يكون كاملا وهو لا يعلم غيره!
هذا تناقض لا شك فيه، فكمال العلم الإلهي أن يعرف ذاته وغيره .
فالإلهيات عند أرسطو كلها خرافات وأباطيل تتناسب مع وثنيته، وتحمل كثيرا من التناقضات التي
لا يقرها عقل أو منطق .